ثالثاً: في البلاد الإسلامية..!!

obeikandl.com

obeikandl.com

وقفة هادئة في فلسطين..!

يبدأ مشوار إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين حينما انعقد المؤتمر الصهيوني الأول ـ رسمياً ـ في بال من عام ١٨٧٩ م، والذي أوصى بمحاولة الوصول إلى الخليفة العثماني وطلب «أرض» منه تكون مقاماً لليهود. فيرفض الخليفة مقابلة «تيودور هرتزل» رغم محاولاته التي استمرت ست سنين، حتى تم له ذلك عام ١٩٠١ م حينما قدم خدمات اليهود في خدمة الدولة تمهيداً للحصول من الخليفة عبد الحميد على تصريح لصالح اليهود. ولم يتمكن من ذلك، بل رده السلطان عبد الحميد رداً مشهوراً رغم ما كان يشاع عنه ـ إلى الآن ـ من ضعف وفساد في أرض الخلافة. تلا ذلك إبرام معاهدة «سايكس ـ بيكو» عام ١٩١٦ م بين كل من بريطانيا وفرنسا اقتسمتا فيه البلاد العربية والإسلامية بينهما، ثم يأتي وعد وزير خارجية بريطانيا «بلفور» عام ١٩١٧ م لليهود بإقامة وطن «قومي» لهم في فلسطين. وتنتهي الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ م ويعلن سقوط الخلافة الإسلامية بسقوط آخر خليفة لها في استانبول في تركيا.

وتتسلم بريطانيا الحماية على فلسطين ولم يكن فيها من اليهود آنذاك أكثر من «٨٥٠٠٠» خمسة وثمانين ألف يهودي في مقابل مليون عربي. وفي سنة ١٩٤٨ م يعلن قيام وطن قومي لليهود ويأخذ اسم «إسرائيل»

اسماً للدولة الجديدة، ويرتفع عدد اليهود إلى «٦٠٠,٠٠٠» ستمائة ألف في مقابل ارتفاع عدد العرب الفلسطينيين إلى مليون ونصف المليون عربي. واليوم ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م يصل عدد اليهود في فلسطين إلى ما يزيد على ثلاثة ملايين يهودي، ويكادون يصلون إلى ثلاثة ونصف مليون يهودي «٣,٤٣٥,٠٠٠» في مقابل ستمئة وخمسين ألف عربي «٦٥٠,٠٠٠» لا يدخل معهم عرب الضفة الغربية من النهر وقطاع غزة. إذ العدد الإجمالي لهؤلاء مضافاً إليهم من يقيمون في البلاد العربية يزيد على الأربعة ملايين عربي.

وعيش العرب تحت الإدارة اليهودية يعني أنهم آخر من ينظر إليهم في مسائل الحقوق المدنية والاجتماعية والسياسية. بل هم محجوبون عن ذلك كله. ويربط اليهود المقيمون في فلسطين العرب عموماً وهؤلاء بخاصة بالقذارة والبداءة. وينعتون العرب - على المستوى الرسمي - بنعوت فيها كل سوء. ويحلم الكثيرون منهم في اليوم الذي لا يرون فيه عربياً بينهم على أرض فلسطين. ويبدو أن هذا الحلم سيطول إذا ما قورن بالنظرة اليهودية الممتدة المستمرة في أساليب توسيع الرقعة من ناحية، ومن ناحية أخرى أن وجود العرب والمسلمين أمر لا يخضع لمثل هذه الأحلام، إذ إن الواقع العربي الإسلامي أمر يثبت ذاته مهما مر العرب والمسلمون بظروف غير عادية.

والزعم بأن قيام دولة يهودية في فلسطين كان ذا دوافع دينية محضة يتناقض مع الفكرة الصهيونية القائمة على أسس ومبادىء كثيرة، يأتي على رأسها القضاء التام على إنسانية بني آدم وصبهم في قالب «العبودية» للصهيونية، بدلاً من أن يكونوا عباداً لله عبادتهم له سبحانه تختلف في مدلولاتها ونتائجها عن «العبودية» التي يسعى إلى تحقيقها هؤلاء من خلال مركزهم في فلسطين. ففكرة «تيودر هرتزل، وحاييم

وايزمان، وفلاديمير جابوتنسكي» قامت على الصهيونية المعادية للدين، فنظرت لليهود على أنهم جنس مشتت في أرض الله، فآثر في أهدافها الأولى أن تجمع اليهود كلهم في وطن قومي تكون أرض فلسطين مركزه والقدس عاصمته، وكان هذا هو الركن الأول للصهيونية «الحديثة»، ثم تتعاقب الأركان بعد ذلك لتشمل إحياء روح التمييز في اليهود بعد أن عاشوا «ثانويين» في الأحياء الفقيرة من بلاد أوروبا وآسيا وإفريقيا، ومن ثم إحياء اللغة العبرية التي وصل بها المقام إلى أن تتقلص في رؤوس أشخاص معدودين من حاخامات اليهود.

هذا هو الطابع العام، ولكنه لا يعني انعدام اليهود المتدينين الذين نراهم عادة يقومون بالطقوس الدينية أمام «حائط المبكى»، ويمثلون الطائفة المتعصبة التي كانت ـ ولا تزال ـ موضع كراهية من قبل الصهيونية، ففي كتابات الحاخامات إشارات إلى أن الذي ساهم في مقتل اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية في بولونيا وألمانيا إنما هم «إخوتهم» اليهود الذين تبنوا الصهيونية مبدأً بديلاً لليهودية ديناً. وتشير مثل هذه الكتابات إلى أن الجانب الغني ساعد الجنود الألمان أيام النازية على حصد اليهود، وذلك كان عن طريق إحياء الحفلات الساهرة لهم وإقامة «المواخير» وتوفير سبل تحقيق الرغبات الشخصية للجنود. ولا يعني هذا عدم الوقوف عند العدد المحصود!

اختلاف الجنسيات:

عامل الصهيونية لا يمكن إنكاره في التأثير على أسلوب الحياة بين اليهود، وفي نفي أن يحيا الناس هناك حياة تخيم عليها «الديمقراطية» بكل مفاهيم الديمقراطية الحديثة. وهناك عامل آخر لا بد من اعتباره مؤثراً في إقامة نظام ديمقراطي في فلسطين اليوم، وهو اختلاف جنسيات البشر

الذين يعيشون اليوم هناك. واختلاف الجنسيات يتبعه اختلاف في الخلفيات. فإذا صح ما يقال بأن هذه المجموعة إنما جُمعت لأهداف صهيونية، فإنه من المستبعد جداً أن تتفق الأهواء والرغبات والتطلعات. فالكثيرون ممن يهاجرون إلى فلسطين يحلمون بحياة «يهودية» فيصدمون بالحياة التي تزيد وطأتها على حياتهم في مواطنهم الأصلية؛ لأن غالبيتهم يواجهون تمييزاً عنصرياً فريداً من نوعه. إذ يعتقد البيض من الأوروبيين أنهم أصحاب المنزلة الأولى في إقامة دولة إسرائيل، وهم الذين سعوا في ذلك وضغطوا على الخلافة الإسلامية ودسُّوا لها من يلغيها من يهود الدونمة وعلى رأسهم «مصطفى كمال أتاتورك» الذي بدأ مسيرته في القضاء على الخلافة بشعار إحيائها حتى يطيعه الكثيرون، وقد انخدع به غير قليلين وهللوا له ورحبوا به ومكنوه من أن يساهم في إقامة دولة لليهود في فلسطين، يضاف إلى ذلك أن يهود أوروبا الذين بلغ عددهم مليون وثلاثمائة وخمسين ألف يهودي «١,٣٥٠,٠٠٠» مضافاً إليهم يهود أمريكا بشمالها وجنوبها، قد نقلوا معهم خلفيتهم العنصرية التي مارسوها في أوروبا وأمريكا واستمروا في ممارستها في فلسطين، إذ وجدوا بينهم من اليهود الملونين ما لم يكونوا يحسبون له حساباً، فقد وصل تعداد اليهود القادمين من آسيا وإفريقيا ما يزيد عن المليون وخمسمائة وأحد عشر ألف يهودي «١,٥١١,٠٠٠» وهذا العدد لا يشمل خمسمائة وأربعة وسبعين ألف يهودي «٥٧٤,٠٠٠» من أولئكم اليهود الذين ولد آباؤهم في فلسطين، ليبلغ المجموع الخاضع للتفرقة العنصرية أكثر من مليونين وخمسة وثمانين ألف يهودي «٢,٠٨٥,٠٠٠». ولعل وصول يهود «الفلاشا» هو الذي أبرز القضية هذه بشكل واضح للجميع، وهو الذي وضع وسائل الإعلام أمام الأمر الواقع بعد أن كانوا يمارسون وسائل كثيرة للتعتيم على فكرة التفرقة العنصرية في فلسطين.

ودعوات مزج هذه الأجناس والخلفيات المتناقضة في خلفية واحدة قد بدأت خطواتها الأولى منذ أن أعلن قيام دولة لليهود في فلسطين، ولم تتوقف هذه الدعوات عند الجانب النظري، بل إن مناهج التعليم كانت الأسلوب الأول في محاولة المزج هذه، ثم محاولات متعددة لدمج الجنسيات هذه من خلال التزاوج فيما بينها، إلا أنها محاولات لا تزال تلقى كثيراً من القبول رغماً عن وجود نماذج لها. وينعكس هذا التمايز في الخلفيات والجنسيات على اختيار أسلوب الحياة السياسية.

فاليهود القادمون من شرق أوروبا يميلون إلى إقامة نظام يساري. فالثلثان منهم يعكس ذلك من خلال انتمائهم لحزب العمل. وفي المقابل يجد المرء أن الثلثين من يهود آسيا وإفريقيا يميلون إلى النظام اليميني والمتطرف الذي مثله في الآونة الأخيرة مناحيم بيجن وأرييل شارون، وينتظر أن يعود به على الساحة إسحاق شامير الذي يشارك في الحكم الآن ممثلاً لحزبه على أن يكون حزبه هو الحاكم المباشر في أكتوبر ١٩٨٦ القادم، إن لم يطح به أرييل شارون الذي حاك في الآونة الأخيرة لعبة جديدة تمثلت في صدامه ـ الظاهر ـ مع رئيس الوزراء الحالي في سبيل لفت النظر إليه. ونحن جميعاً نعرف أرييل شارون، وندرك أن المستقبل في صالحه؛ لأن دولة اليهود تعودت على رفع هذه النوعيات إلى القمة السياسية وتسليط الأضواء عليها. وهو صاحب «الحل النهائي» الذي أعلنه في بيروت وهو يشرف على اجتياح اليهود لها. ويقصد من ذلك القضاء التام على كل ما يمت لفلسطين بصلة بادئاً بعرب فلسطين المسلمين.

الهجرة المضادة:

وإذا كان اليهود يشجعون الهجرة إلى فلسطين بحيث يحققون الهدف الأول للصهيونية من حيث جمع اليهود في وطن قومي لهم، إلا

أن الظروف العملية لا تساعدهم كثيراً في ذلك، فالتضخم عندهم وصل ١٠٠٠٪ «ألف بالمئة» في سبتمبر من عام ١٩٨٤ م. ويعتبر كل يهودي في فلسطين مديناً مادياً بما يعادل «٢٢٦٣٠» ريالاً أو «٦٢٠٠» دولار. أما معدل النمو السنوي فقد نزل من ٩ ـ ١٠٪ في الأعوام ١٩٤٨ ـ ١٩٧٣ م إلى ١,٨ ـ ١,١٪ في الأعوام الثلاثة الأخيرة. والبطالة تطرق أبواب العشرة بالمئة ١٠٪ من مجموع العاملين.

هذه التطورات بالإضافة إلى الجوانب الاجتماعية والأمنية جعلت فكرة الهجرة المضادة لا تقف عند قرارات فردية، بل إن الأمر أصبح يزعج المهتمين بهجرة اليهود إلى فلسطين، فالمتوقع أن يغادر فلسطين أكثر من «٣٠,٠٠٠» ثلاثين ألف يهودي عائدين إلى بلادهم أو إلى بلاد غرب أوروبا وأمريكا، وهذا بدوره يعادل حوالى ١٪ من مجموع السكان، والمستقبل لا يوحي لهم بخير.

ولعل مما يرغب في الهجرة المضادة شعور الكثيرين بأنهم مهما كانوا في اليهودية متعمقين إلا أنهم لا ينتمون حقاً إلى هذه الأرض. هناك ـ فيما يبدو ـ شعور غير معلن بأن شيئاً ما غير إيجابي ينتظرهم في فلسطين، ولعل هذا الشعور هو ما حدا بمجموعة منهم غير قليلة بالاحتفاظ بجنسياتهم وجوازات سفرهم الأولى مع حصولهم على جنسيات إسرائيلية. ويبلغ عدد اليهود الذين لا يزالون يحتفظون بجوازات سفرهم الأمريكية فقط ستين ألف شخص «٦٠,٠٠٠» يصرون على الاحتفاظ بها، وينتقلون بها في أسفارهم خارج فلسطين مخفين الجنسية اليهودية لدوافع ذاتية وأمنية وعرقية، ولم يتخل عن هذه الجنسية الأمريكية منهم خلال العشر سنوات الماضية إلا حوالى مائة شخص «١٠٠» فقط، معظمهم ينتمون إلى الأمريكيين السود الذين اعتنقوا اليهودية أو العبرانية ودخلوا فلسطين«بسمات سياحية ثم تخلوا عن الجنسية الأمريكية تجنباً

لإبعادهم» كما يذكر تقرير لمجلة النيوزويك الأمريكية. ولا تنزع الجنسية الأمريكية إلا من أشخاص تشعر الحكومة أنهم وصلوا إلى منزلة قد تضر بأمن أمريكا القومي، فلذلك نزعت من موسى آرينز عام ١٩٨٢ م فقط عندما عين سفيراً لإسرائيل في واشنطن، ونزعت عن «مائير كاهانا» أحد متطرفي البرلمان اليهودي الذي سيقيم دعوى ضد الحكومة الأمريكية وسيسعى إلى استرداد جنسيته ولو أدى ذلك إلى استخدامه أسلوبه المعتاد الذي يستخدمه مع العرب.

وفي الوقت الذي تبدأ فيه الهجرة المضادة ظاهرة بارزة، يخف معدل الهجرة إلى فلسطين، بحيث يكاد يصل إلى التوقف، وقد تمر عليه فترة نشاط بعد محادثات بيجن ـ غورباتشوف الأخيرة في جنيف، إلا أنها ستكون وسيلة ليهود الاتحاد السوفييتي لأن يتركوا روسيا إلى دول أوروبا الغربية وأمريكا.

ولهذه العوامل ولعوامل أخرى غير قليلة يتبين أن قيام حكومة يهودية في فلسطين إنما هو أمر عارض في حياة الأمة العربية والإسلامية، إذ إن هذه العوامل تعين كثيراً على الوصول إلى مثل هذه النتيجة.

المفقود!

هذه عائلة كبيرة جداً عدد أفرادها يفوق التصور. متماسكة، متكاتفة. تتعرض للنكبات والأهوال والمصائب ولكنها صابرة. صبرها لا يعني أنها لا تحزن. ولكن صبرها يعني لها أنها قادرة على التغلب على نوائب الدهر. تمر عليها المصيبة تلو المصيبة فتسترجع وتسير في طريقها. تفقد عزيزاً عليها فتنعيه لمن حولها وتستمر في الطريق. هي عائلة العالم الإسلامي من المحيط إلى المحيط. تتعرض لنكبات الزمان، وتصبر. بالأمس القريب تعرضت هذه العائلة في الأسبوع الماضي لفيضانات في السودان أعقبها تهديد بالجراد لم يمر على السودان منذ أكثر من ألف عام. وقبل فيضانات السودان تتعرض بنغلاديش للفيضانات والحوادث، وكذا في تركيا وجنوب شرق الاتحاد السوفييتي حيث الجمهوريات الإسلامية.

وفي الأسبوع الماضي فجع العالم الإسلامي بوفاة أحد القادة الذين شهد لهم بالخير أفعالهم، حيث سقطت الطائرة التي تقل الرئيس ضياء الحق الذي عرف عنه مؤازرة العمل الإسلامي في بلاده وفي بلاد المسلمين عامة. وله مواقفه التي لا تنسى من قضية المجاهدين والمهاجرين الأفغان، حيث تحمَّل تبعات وجود الملايين منهم على أرض

الباكستان، وكانت الباكستان ـ ولا تزال ـ هي منطلق الجهاد في أفغانستان. وهذا الموقف منه يذكر له ولعله أن يكون في ميزان أعماله، فقد أفضى إلى ما أفضى إليه.

وأقول هنا: إن ضياء الحق كرجل دولة لا بد أن يكون له معارضوه داخل الباكستان وخارجها، ونحن مطالبون بحسن الظن بالآخرين كمسلمين. حسن الظن هذا مطبق على الجميع بغض النظر عن مواقعهم في المجتمع. من السهل أن يطلق المرء على الآخرين حكماً سريعاً غير موثق. وحسن الظن هنا لا يعني بحال من الأحوال السذاجة. فلعلنا ندرك الفرق بين هذا الموقف وذاكم الموقف. ومع الأموات نحن مطالبون بأن نذكر محاسنهم، خاصة منهم من لم يثبت لنا عنه أنه خرج عن الخط السوي.

على أي حال، فقدان ضياء الحق لا يؤثر على الباكستان فحسب، ولكنه سينعكس على العمل الإسلامي في شبه الجزيرة الهندية وأفغانستان وغيرها من المواطن المجاورة. ولعلنا لا نبالغ كثيراً في هذا إلا إلى درجة أن نقر للمحسن بإحسانه فنقول له أحسنت، وذلكم لأننا نعلم أن الله تعالى يقيض لهذه المنطقة من يحمل لواء الحق فيها ويكمل مسيرة بدأها من قبله. وما موت ضياء الحق إلا حلقة في سلسلة من الحلقات التي تكون في مجموعها نوعاً من الابتلاء والامتحان لهذه الأمة وخيرها من صبر وآمن واحتسب.

ويمر حادث موت ضياء الحق وتبقى آثاره الغريبة، فالتحقق في أسباب موته والدوافع لهذا الأسلوب في الميتة فترى الناس في مجملهم يشيرون بأصابع الاتهام إلى الحكومة الأفغانية القائمة المدعومة مباشرة من الاتحاد السوفييتي.

وكل يحاول أن يبدي مجموعة من الأسباب التي تعين على الإقناع

بأن الروس في النهاية هم المدبرون لموت ضياء الحق، ولعل الأنسب من هذا كله أن ينتظر الناس إلى أن تنتهي التحقيقات الموضوعية ليؤيد الحكم فيها ما ذهبوا إليه أو لينقضه. وهذا هو الأسلوب الأمثل الذي انتهجه غلام إسحاق خان الرئيس بالنيابة.

ويمر حادث موت ضياء الحق معبراً عن جزء مما تتلقاه هذه الأمة الكبيرة الصابرة من المحن، فتطوي صفحة وتفتح صفحة أخرى بعد أن سجلت في الصفحة المطوية ما تعرضت له وما أنجزته فنتركها للتاريخ يسجلها بأسلوبه الخاص ويخرج منها بحكم تاريخي على حقبة من الزمن هي من أصعب الحقب التي مر بها العالم الإسلامي منذ بعثة قائدها وإمامها محمد ﷺ.

وتفتح الأمة الكبيرة صفحة جديدة وكلها أمل في أن تملأها بما هو أفضل مما ملأت به الصفحة المطوية. فالأمل عند هذه الأمة لا حدود له، وهي عائلة لا تعرف اليأس ولا يطرق القنوط لها باباً..

فقد صبرت على أعظم من هذا بكثير صبرت على غزو الصليبيين، وصبرت على غزو التتار، وصبرت على غزو اليهود، وصبرت على مهاترات الضالين، واجتازت هذه المراحل كلها وهي تثبت للجميع أنها أمة قوية لا تهزها هذه اللفحات المؤقتة.

ولعل القلم يتوقف هنا مكتفياً بهذا الشعور مذكراً بأن فقدان هذا الرجل ترك ثغرة غير هينة في هذه الأمة التي لا تزال تنجب الرجال الذين يملكون عظمة الرجال ويستطيعون سد هذه الثغرة والثغرات الأخرى. وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة، العدد ٥٨١٢

١٥ المحرم ١٤٠٩هـ - ٢٧ أغسطس ١٩٨٨ م

السودان.. سلة خبز العرب

أولاً وقبل أن نناقش أو نتحدث عن أية قضية تتعلق بالأمة العربية اليوم طبيعية كانت أو سياسية، أو اقتصادية، لا بد من أن نؤكد على أننا نؤمن بالقدر خيره وشره، وأننا قد نكره أشياء كثيرة ويكون لنا فيها خير كثير، وأن مقياس البشر يظل في حدود البشر، ولا يعلو على حكمة الله وقدرته وتصريفه، وأنه تعالى لا يظلم أحداً مثقال ذرة، فكل الناس من خلقه ولا ينالون أكثر مما يستحقون في الدنيا أو في الآخرة. إذا آمنا بهذا وجدنا أنه من اليسير الحديث عن الأحداث التي تمر بنا هذه الأيام وقبل هذه الأيام، وربما بعد هذه الأيام.

الخرطوم عاصمة السودان تعزل تماماً بسبب المطر الذي أدى إلى الفياضانات فتدمر عشرة آلاف منزل، على الأقل، ويخرج أكثر من مليوني نسمة دون مأوى، دون كهرباء، دون عيش، لاحظوا أنهم فقدوا كل شيء جرفه تيار الماء معه، وذابت، معه ذكرياتهم ومحتوياتهم، فلا يأبهون الآن بالمحتويات والذكريات، ولكنهم يبحثون عن لقمة العيش تسد الرمق. هذا إذا أدركنا أن هناك أكثر من مليون من اللاجئين من الجنوب في الخرطوم وحدها. وأن محافظة الخرطوم كانت مشغولة في إيواء هؤلاء والبحث عن حل لهم يعيد إليهم الشعور بالحياة، لقد أتيحت لي الفرصة

لأقف على بعض معسكرات اللاجئين فوجدت أنه من المحتم على كل شخص أن يحاول الوقوف على ما وقفت عليه.

فتجد محافظة الخرطوم نفسها في حال لا تحسد عليها، إذ تخطت الحال المحلية واحتاج الأمر إلى الرعاية العربية أولاً، ثم الإسلامية والدولية، فعلى المسلمين ـ والعرب منهم ـ تقع مسؤولية النظر في هذا الموضوع؛ لأن منظمات الإغاثة الأخرى تقف متأهبة للنجدة وتقديم العون. وهذا جميل بحد ذاته إذا كان لذاته، أما إذا كان مصحوباً بالمنة والأفكار الدخيلة فذلكم أمر لا نرفضه حقاً إلا إذا كنا ـ عملياً ـ نملك البديل له.

يقول أحد العلماء المدركين إن الزكاة التي يجب أن تدفع على أموال التجار المسلمين كفيلة بأن تقضي على مشكلة الجوع، ليس في مكان واحد كالسودان، ولكن في الكرة الأرضية كلها، وليس في الأمر مبالغة إذا قلنا إنه إذا دفعت الزكاة لم يبق مسلم واحد يعاني من الجوع والفقر والمرض، ومثل هذا الاندفاع في الحديث قد يشعر البعض أن المسلمين لا يدفعون زكاة أموالهم. وليس هذا الادعاء حاصلاً، فالمسلمون ـ بفضل من الله ـ حريصون على تطهير أموالهم، وهذا أيضاً ليس تعميماً، فهناك من لا يبالي في أن يدفع مالاً يحس أنه تعب عليه. هذا عن الزكاة. وأبواب الخير ليست مقصورة على الزكاة وحدها فباب الصدقات قد يكون أوسع من باب الزكاة، فلا يرتبط هذا الباب بالنصاب والحول والنسبة التي تدفع على المال في الزكاة.

ولِمَ الربط بالزكاة والصدقة؟ لأن الإنفاق في هذه الحال سيزيد من مال المرء ولا ينقصه، ما دام هذا الإنفاق خالصاً لوجه الله، في مقاييسنا المجردة من العقيدة قد ندرك أن الإنفاق من مال ينقصه، ولكن الإنفاق من أجل الصدقة سيزيده وهذه قاعدة لا بد أن نؤمن بها؛ لأننا لا نسير بموازين البشر، ولكننا نسير على حكم الله تعالى.

بالأمس كانت السودان ـ وغيرها من دول شرق ووسط إفريقيا ـ تعاني من الجفاف، فتهرع مؤسسات الإغاثة والحكومات تمد يد العون لأولئكم الذين هربوا من الجفاف سيراً على الأقدام، فسقط منهم من سقط ونجا منهم من نجا، واليوم تعاني السودان من الفيضانات فيهرب منها كثير من الناس سيراً على الأقدام فيسقط منهم من يسقط وينجو منهم من ينجو، ويتمنى بعضهم من هول المصاب أن لم يعش ليرى ما يراه. لا بد من حكمة؛ لأن الكون يسير بحكمة وإن حاول البعض تفسير هذا الوضع تفسيراً طبيعياً، إلا أن هناك تفسيراً آخر لا بد من الوقوف عنده قصداً إلى مواجهة المعضلات والبحث عن الحل المناسب لها.

وإلى أن يدرس هذا الوضع ويبحث له عن الحل، يأتي الحل العاجل الذي يسعى إلى الوقوف إلى جانب هؤلاء الإخوة الذين بدأوا ـ في مجملهم ـ يفقدون طعم الحياة، وصارت تساورهم الشكوك فيوقف إلى جوارهم ويشد من عزائمهم ويمنحون الثقة من جديد، ليس من باب العطف وبسط اليد العليا ولكن من باب الواجب الأخوي الذي يحتمه الانتماء إلى عقيدة واحدة مشتركة، والواجب هنا مصطلح شرعي له دلالاته التي تجعل الناس ينقادون إلى مؤازرة إخوانهم بعيداً عن أي شعور بالمنة لئلا تذهب مع المنة نتائج هذه المؤازرة، ويكون طعمها غير مستساغ، ومثل هذا الأمر لا يستحق التأجيل.

ونحن نعلم أن هذه البلاد تسارع إلى أشقائها العرب والمسلمين وتمد لهم يدها البيضاء بعيداً عن الأضواء، إذ إن مندوبيات الإغاثة السعودية موزعة هنا وهناك تقوم بدورها بصمت وطمأنينة، ولم تتوقف الطائرات السعودية عن حمل المتاع والغطاء للمناطق المنكوبة نكبات آنية كالزلازل والفياضانات أو ممتدة كالجفاف وآثار الحروب. وهذا فضل من الله على هذه البلاد وعلى أهل هذه البلاد. وهو فضل كفيل ـ بإذن الله ـ

بزيادة النعمة والخير؛ لأن من شكر نعمة الله زاده الله نعمة عليها. وخطباء الجمعة في هذه البلاد الطيبة لا يترددون عن السير مع الأحداث ينبهون العامة ويذكرون بواجبهم تجاه ما يحصل في العالم ويربطونهم بالأحداث ويبينون لهم موقف الإسلام منها. وهم ـ أعانهم الله ـ ذوو تأثير على الناس بسبب من الثقة التي مُنِحوها، وعليهم التأكيد على أثر التكافل والتعاون بين المسلمين في التغلب على ما يعترض الطريق من نوائب الدهر ومحن الزمان بغض النظر عن المكان. وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة العدد ٥٨٠٥

السبت ٨ المحرم ١٤٠٩ هـ ـ ٢٠ أغسطس ١٩٨٨ م

obeikandl.com

الحمية.. لو يشبعون

في الطريق من البيت إلى العمل ومن العمل إلى البيت يطيب للمرء أن يستمع إلى أحد برامج البث المباشر والتي تعرض لقضايا وجوانب متعددة، ومنها ساعة يقضيها المستمعون مع طبيب متخصص في التغذية والرشاقة. وتنهال على الطبيب مجموعة من الأسئلة حول «الحمية» ويسميها البعض بالعامية «الريجيم». وتظهر البرامج والمؤسسات والأغذية وأدوات التمرين وتظهر صناعة كاملة هي صناعة الحمية بما فيها المقالات والكتب والمنشورات والنوادي وشيء كثير. وتؤلف واحدة كتاباً عن الاستراتيجية التي تبعتها واستطاعت معها أن تفقد حوالى سبعين كيلاً من الجرامات، وتتحدث عن تجربتها التي مرت بها والخوف الذي يراودها مخافة أن تعود إلى عهدها السابق فتخوص في السمنة وما يتبعها أو يقترن بها ـ هناك في تلك البلاد (الولايات المتحدة) ـ من رفض المجتمع والشعور بالوحدة والرغبة في الانطواء. كل ذلكم بسبب كثرة الخير والانخراط التام في الشهوة حتى لا يكاد مجال من مجالات الشهوة لم يشبع بالطرق المشروعة وغالباً بالطرق غير المشروعة.

في المجتمع الذي أعيش فيه هذه الأيام ـ مجتمع الولايات المتحدة ـ يخشى الإنسان السمنة، ويخشون كذلك ارتفاع الضغط وأمراض

السكري بأنواعها والسكتات القلبية والأرق والقلق، ولذلكم ترونهم يسعون جاهدين في إيجاد الوسائل التي تعينهم على التخلص من هذه الأوبئة. تراهم يبحثون عن العلاج بعد أن تركوا جانباً البحث عن الوقاية. العمل لديهم يأخذ ساعات طوالاً تأكل على المرء يومه كله، فلا يبقى له مجال إلا أن يعود للبيت ويأكل لقمة عيش فيقرأ أو يشاهد التلفزيون ثم ينصرف إلى نومه. هذ إذا كان من سعداء القوم. وغيره من غير السعداء تراه يلجأ إلى المهدئات التي تنسيه هموم يومه وتهيئه لغده، فلا بيت يجد فيه الدفء ولا عشير يعينه على همومه، ولا رفيق يبث إليه أحزانه فيزيد أرقه ويزداد قلقه ويرتفع ضغطه فيلجأ إلى الرياضة والجري يخفف عنه أشياء مما يحمل وهو يحمل أثقالاً كثيرة. توجه إلى الدنيا فأعرضت عنه ولحق بها فأبعدت عنه، وتعلق بها فتخلت عنه، فأراد أن يستمتع بيومه قبل ليله، وحاضره قبل مستقبله، فازداد وزنه وأثقلته شحومه فطفق يبحث عن العلاج، فجاءت صناعة الحمية. والمجتمع الذي أعيش فيه هذه الأيام يوجد المشكلات ليصنع لها الحلول إنه يعيش من مشكلات الآخرين فتراهم يبيعون السلاح في الشوارع، والمخدرات أصبح بيعها في الأماكن العامة، واللذة الآثمة أصبحت من الابتذال بحيث فقدت رومانسيتها وسموها. فلم يقتصر الأمر على الأكل فقط، ولكنه شمل متع الحياة كلها فلم تصبح متعاً وإنما هي داء يدفعه التحدي ومحاولة الظهور وكيد الآخرين والبروز في المجتمع بل والشهرة.

وأنا أستمع إلى الحديث عن أساليب الحمية والاحتيالات عليها في المجتمع الذي أكتب لكم منه تذكرت حديثاً للمنفلوطي ـ مصطفى لطفي في النظرات ـ ولعلها العبرات حينما قارن بين أولئكم المتخمين وأولئكم الذين لا يجدون لقمة العيش. وبين أمراض التخمة وأمراض الجوع. إن تمثيله لا يزال قائماً وهو قد ودعنا منذ أمد حتى ليكاد البعض يجهل تلكم

النظرات والعبرات. فالتخمة لا تزال تضرب أطنابها والجوع لا يزال يحصد الرطب واليابس، وسبحان مقسم الأرزاق، فلو كان للدنيا وزن عند خالقها ما جعل أولئكم يتخمون وهؤلاء يأكلون من خشاش الأرض.

تلكم مشكلة المتخمين، فما لنا ولها. والحق أنها مشكلة يخشى أن تطرق علينا الباب حينما نكون من الأنانية بحيث لا ندرك حاجة الآخرين ونصيبهم مما لدينا حقاً لهم علينا فرضه خالقنا جميعاً، وحينما نعيش لنأكل بدلاً من أن نأكل لنعيش، وحينما نصبح قوماً نشبع ونأكل ولو لم يساورنا الجوع خلاف ما نشأنا عليه. هذا لم يقع بعد ولكنه التوجس من أن يقع فتكثر بيننا صناعة الحمية. ولا بد أن ندرك أن هناك خللاً في المجتمعات الأخرى فلا ننقاد إلى هذا الخلل بحجة أننا نريد أن نكتسب من الآخرين ما لديهم من أصناف ما وصلوا إليه في الاحتيال على الحياة.

بل لا بد أن نعطي في حياتنا كل ذي حق حقه من الجسم إلى المجتمع كله فلا نعمل أكثر من الحد الذي يقوم به المجتمع، وقد يرى البعض أن هذه دعوة إلى الحد من الأداء والإنجاز والبناء، ولكنه الوقت الذي أتحدث عنه بحيث يكون هناك فرصة عند المرء يلتقي فيه بأهله وأولاده ووالديه وأقاربه وأصدقائه. ويكون هناك فرصة عند المرء لأن يبني مجتمعه بالأداء والإنجاز والبناء الذي لم ولن يتحقق في المكاتب وأوقات العمل. فمسؤولية المرء في الدنيا هذه لا تقتصر على عمله الرسمي الذي يؤديه فقط وعلى حساب المسؤوليات الأخرى. وصاحبكم يعمل من التاسعة إلى الخامسة وقبلها ساعة وبعدها ساعة للمواصلات ويشعر أنه أهدر طاقته في العمل فلم يعد إلى البيت ولديه «المزاج» للقيام بالمسؤوليات الأخرى. ومن هنا تبدأ الأعراض التي أدت إلى عالم الحمية من الأرق والقلق وارتفاع الضغط والأمراض النفسية والاجتماعية، إذ إنه يشعر أنه في طاحونة تمتص قواه وتتركه خائراً تعطيه شيئاً من الوقت يسترد

فيه قواه لليوم التالي. وليست دعوة للتواكل حينما يقال أنه لن يلحق للدنيا طرف، وما لم يتم إنجازه اليوم يتم غداً ـ بإذن الله ـ ما دامت النية حسنة والاندفاع موجود والشعور بالمسؤولية متوافر.

تلكم انطباعات ليوم واحد من أيام العمل في مجتمعات اتجهت إلى الدنيا ونسيت نصيبها من الآخرة فحاولت أن تصب كل قواها في تحقيق الأمان بكل معانيه في هذه الدنيا فلم تفلح ولا أخالها تفلح وهي تتنافس على زائل. والحياة مدرسة يفترض فيها أن نكون أساتذتها وتلاميذها والله المستعان.

obeikandl.com

الجوع ..لا حل بكم مكروه

العالم اليوم يعيش أمرين متناقضين تماماً. يقول مصطفى لطفي المنفلوطي في إحدى نظراته: إنّه مر على شخص يتضور جوعاً وقد عصب بطنه رجاء تخفيف آلام الجوع، ثم مر بآخر وقد هرع مسرعاً إلى الطبيب ليعالج مغصاً في أمعائه وتقلبات في نظام الهضم عنده؛ لأنّه يأكل كثيراً فيصاب بالتخمة، تعجب المنفلوطي من هذه الظاهرة في زمنه الذي عاش فيه، وأعجب لو كان المنفلوطي عائشاً اليوم، ماذا كان له أن يقول في عبرات تلي النظرات.

في بعض المجتمعات هناك تحذير متكرر من قِبَل علماء التغذية والمتخصصين في شؤون الحمية من كثرة الأكل والإفراط فيه والتنويع في أصنافه. والتحذير هذا يشمل لفت الانتباه إلى أضرار الإكثار من الكوليسترول والسعرات الحرارية وما يسمونه بالدهون المتشبعة. وفي هذه المجتمعات وجدت أصنافاً وأصنافاً من وصفات الأغذية التي تتبع أساليب الحمية «الريجيم» ويستفيد منها الكثيرون الذين أنشأوا المؤسسات التجارية الرابحة التي تُعنى بالوصفات المناسبة للحفاظ على الجسم سليماً معافى من أمراض «كثرة الأكل». ولا يقف الأمر عند هذا، بل ظهرت أصناف

الحبوب «الدوائية» التي تضيق الخناق على الشهية مما يحدو بالمرء إلى التقليل من الأكل سعياً وراء الاحتفاظ بوزن محدد للجسم رسمه المتخصصون، أي أن الطعام اليوم أصبح في هذه النوعية من المجتمعات عاملاً من العوامل التي تنغص على القوم حياتهم فيحاولون البحث عن الحلول السريعة للتغلب على هذه المشكلة التي ربما أسميناها «بمشكلة الطعام المناسب» بينما يسميها البعض بمشكلة الغذاء المناسب!

وفي أحد هذه المجتمعات وجدنا أن الناس بدأوا يلجأون إلى أطباق غريبة عليهم طمعاً في الوصول إلى حل لهذه المشكلة، فهناك دعاية للأكل الشرقي عموماً من صيني وهندي وعربي على اعتبار أن هذه الأطباق بسيطة في إعدادها غنية في غذائها، وهذه محاولة من محاولات للتغلب على مشكلة الطعام المناسب. ومحاولة أخرى جاءت في التركيز على التمرينات الرياضية المتتابعة التي يراد منها تخفيف الوزن والمحافظة على وزن محدود دون اللجوء إلى النقص لما في ذلك من ضرر، فظهرت في إثر هذا النوادي الرياضية التجارية التي تتيح جميع أنواع الأجهزة التي يمكن أن تؤدي هذا الغرض بموجب اشتراك سنوي أو فصلي والمحاولات كثيرة على كل حال.

إذاً فهذه النوعية من المجتمعات تعيش حالة تخمة غذائية حقة، وهي في سبيل التخلص من هذه التخمة، ولكنها لم تصل إلى الأسلوب المناسب الفعال، إذ إن المحاولات المتعددة هذه لها سلبيتها التي ربما وصلت إلى الخطورة الصحية عند من يتناولون حبوب الحمية أو يضغطون على التزامهم بحمية محددة قائمة على «التنقيص» من مواد لا بد للجسم منها. يمثل هذه المجتمعات عموماً المجتمعات الغربية في أوروبا غرباً وشرقاً وفي أمريكا.

والجوع في الجانب الآخر:

في الوقت ذاته هناك مجتمعات كثيرة تهددها المجاعة تهديداً يحتاج معه إلى الصور الحية الناطقة التي تغني عن الحديث والتبحر في اختيار الكلمات، إذ يكفي أن يعرض عليك فيلم لمدة لا تزيد عن خمس دقائق فقط لترى بنفسك ما وصل إليه العالم من تناقض، وسنضطر لذكر بعض المجتمعات بالتحديد؛ لأننا هنا نورد إحصائيات حديثة جداً يتطلب ذكرها ذكر مواقعها. وإيراد هذه الأرقام المهولة لا يراد منه أكثر من أن نلمس الصورة التي تعيشها هذه المجتمعات وما وصلت إليه من الفاقة. والذي أحب أن أؤكد عليه أن هذه الظاهرة ليست ظاهرة مؤقتة تمثل الصدارة في نشرها وإعلانها فترة من الزمن ثم يأتي خبر آخر يضعها في طي الكتمان، بل إنّها مشكلة مستمرة متفاقمة وتزداد يوماً بعد يوم داعية أهل الخير على جميع المستويات أن يساهموا في الوصول إلى حل جذري لها.

لظروف مناخية وظروف أخرى كثيرة ـ منها الظروف السياسية ـ يعيش كثير من أهل إفريقيا الخضراء في أراض جدباء لا تنبت كلأ ولا يصلها الماء. فلو أخذنا ـ على سبيل المثال ـ الحبشة ـ وتسمى عند البعض أثيوبيا ـ العامرة باثنين وثلاثين مليون نسمة (٣٢,٠٠٠,٠٠٠) ربعهم أي (٨,٠٠٠,٠٠٠) يعيشون تحت الفاقة، ولو نظرنا إلى الزاوية الشمالية والشرقية منها فقط ـ والزاوية الشمالية لها مدلول خاص لدينا نحن المسلمين، إذ إنّها تكتنف الأريتريين الذين يسعون إلى التخلص من أنظمة لا تناسبهم ـ لو نظرنا إلى هذه الزاوية لوجدنا فيها حوالى (١٠٠) مئة مخيم للاجئين الذين هربوا من الجدب سعياً وراء الطعام؛ الذين يصلون إلى هذه المخيمات لا يزيدون على عشرين بالمئة من مجموع اللاجئين (٢٠٪) أما الثمانون بالمئة (٨٠٪) المتبقية فهم يموتون في الطريق نظراً لعدم مقدرتهم الجسمية على السير إلى المخيمات. وفي هذه المنطقة

هناك حوالى ستة ملايين نسمة(٦,٠٠٠,٠٠٠) يعيشون على حافة الهلاك، وقد يصل عدد الذين يلاقون حتفهم من الجوع فقط حوالى المليون نسمة (١,٠٠٠,٠٠٠) في نهاية العام الميلادي الحالي ـ أي بعد عشرة أيام من اليوم. ويصل تعداد من تركوا منازلهم بحثاً عن الطعام وفي منطقة واحدة هي شمال الحبشة ما يقارب المليونين وربع المليون نسمة (٢,٢٥٠,٠٠٠) وتركهم منازلهم يعقبه أمور كثيرة أقلها تركهم لأرضهم وأملاكهم التي أضحت لا تساوي شيئاً، ثم موتهم في الطريق كما أسلفنا.

ولو أخذنا القارة الإفريقية مجتمعة لوجدنا أن هناك ما يصل إلى مئة وخمسين مليون نسمة (١٥٠,٠٠٠,٠٠٠) مهددين بالفاقة والموت جوعاً. ويذكر أن ستين بالمائة من سكان إفريقيا ينامون ليلهم جياعاً، وهناك حوالى مليون طفل (١,٠٠٠,٠٠٠) يموتون سنوياً من أمراض الملاريا فقط، وهناك الذين يولدون فلا يجدون قطرة من حليب تسد رمقهم فيموت منهم ما يقارب الخمسين بالمائة ٥٠٪ حال ولادتهم. على أن هناك ما يصل إلى المئتي مليون طفل دون الخامسة عشرة من أعمارهم في إفريقيا (٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠) مئة وسبعون مليون طفل من هؤلاء (١٧٠,٠٠٠,٠٠٠) يعيشون دون المستوى الغذائي العادي جداً، ولديهم نقص في التغذية وليس هناك مبالغة إذا قيل إن سبعين بالمئة (٧٠٪) من سكان إفريقيا في المناطق الشرقية والجنوبية والغربية يعيشون في مستوى يقل عن المستوى المعيشي المعتاد لكل فرد. أما محاولات إنقاذ الأطفال منهم تبدأ بالأطفال الذين وصلوا إلى نسبة سبعين بالمئة (٧٠٪) دون المستوى المتوقع من الوزن.

أما في الشمال الوسط، وفي تشاد بالذات التي عاشت ـ ولا تزال ـ ويلات الحروب الأهلية، فإن مائتي طفل (٢٠٠) يموتون كل خمسة عشر يوماً، وفي غضون الأشهر القليلة الماضية لاقى أربعة آلاف شخص

(٤٠٠٠) حتفهم من النساء والأطفال. وقد ترك مجموعة من التشاديين منازلهم بحثاً عن الطعام، ويقدر عددهم حتى إعداد التقارير بحوالي مائتي ألف نسمة (٢٠٠,٠٠٤) ويذكر أنّه في نهاية العام الحالي الميلادي، أي بعد عشرة أيام من الآن، قد يصل عدد من تركوا منازلهم سعياً وراء لقمة يعيشون بها ويسدون بها الرمق إلى ستمائة ألف نسمة (٦٠٠,٠٠٠) ومن هؤلاء ما وصل إلى مئة ألف شخص (١٠٠,٠٠٠) تركوا ديارهم وليس منازلهم فقط. بحثاً عن سبل العيش. ويصل مجموعات منهم إلى المناطق المجاورة، فالسودان مثلاً التي تعد عند الكثيرين «سلة خبز العرب» تحتضن اليوم ما يزيد على المليونين ونصف المليون (٢,٥٠٠٠,٠٠٠) من اللاجئين إليها من مناطق مجاورة مثل تشاد وكينيا وأريتريا.

وكينيا مشهورة بهذه الظاهرة الخطيرة خصوصاً المناطق الشرقية منها، ولعل آخر ما يمكن أن يقال عنها أن مرض «الكوليرا» مستفحل في بعض مناطقها وقد عزلت هذه المناطق عن الحركة، إذ لا خروج ولا دخول إلا للناقلات الرسمية التي تحمل أدوات المساعدة والإغاثة ومنها سيارات الإسعاف.

● ● هذه مقتطفات من مشكلة كبرى تهدد بعض الدول الإفريقية.. ولا يقتصر الأمر على إفريقيا وحدها، بل إن آسيا لا تخلو من أمثال هذه الأوضاع وفي الهند العجب، وكذلك في مخيمات اللاجئين الأفغان على الحدود الباكستانية. ومن ذلك أيضاً مناطق جنوب شرق آسيا التي لم تنفض غبار الحروب عن كاهلها بعد، وأمريكا اللاتينية عموماً (الجنوبية والوسطى) لا تخلو أيضاً من هذه النماذج، بل إن كثيراً من المناطق لا يتصور أنها يمكن أن تكتنف جياعاً بين أهلها، ولكنها ليست مستثناة من هذه الظاهرة.

الاستعمار.. والتنصير والجوع:

مضى على استعمار كثير من البلاد أكثر من مائة سنة، وخرج كثير من المستعمرين بعد أن تركوا بصمات واضحة على المستَعْمَر كان لها تأثير واضح في التخلف التنموي للبلاد التي خضعت للاستعمار، فيما يُهتم بالسيول والسدود وتصريف مياه الأنهار مثلاً، ولعل ذلك كان قصداً من المستعمر؛ لأنّه يخدم غرضاً استعمارياً بعيد المدى. كما ساعد الاستعمار على انتشار جمعيات التنصير التي قدمت من أوروبا وأمريكا متسترة تحت شعارات إنسانية بحتة لا علاقة لها بدين أو عقيدة أو لون أو عرق.

يذكر أنّه في إفريقيا وحدها ما لا يقل عن مئة ألف (١٠٠,٠٠٠) بعثة تنصيرية تزاول أعمالها في مختلف بقاع القارة الخضراء. يتبع هذه البعثات التنصرية ما يصل إلى عشرين ألف مؤسسة تعليمية (٢٠,٠٠٠) على مختلف المستويات، وينضم إلى هذه المؤسسات التعليمية ما يقرب من خمسمائة ألف طالب وطالبة (٥٠٠,٠٠٠) معظمهم من المسلمين، كما أن هذه البعثات التنصيرية تدير ما مجموعه خمسمائة مستشفى (٥٠٠) ما بين متنقل وثابت.

وقد ذكر لي شخصياً أحد الذين زاملوني في دراستي الأخيرة وهو من إحدى بلاد إفريقيا أنه يرغب في الحج وزيارة بيت الله والحرم المدني، فاستغربت منه ذلك واسمه «جون» فقال لي إن والديه كانا مسلمين ولكنهما خضعاً للتنصير فاعتنقا النصرانية وعلمونا إياها، ولكني لا أزال أطمع في العودة إلى الفطرة.. وأنشطة بعثات التنصير مشهورة معروفة لدى الكثيرين، وتشجع على ذلك كثير من الهيئات التي تمنح الجوائز التقديرية العالمية وذلك مثل منح الأم «تيريزا» جائزة علمية نظراً لخدماتها المتصلة في «العناية ببني الإنسان»!!

ولعلنا لا نجانب الصواب إذا قلنا إن بعضاً من البعثات التنصيرية كان لها دور بارز فيما وصلت إليه القارة الإفريقية من حالة يرثى لها، فقد ذكرنا عند الحديث عن المجاعة أن أساليب مناخية مثل الجفاف وأساليب أخرى منها السياسة قد ساعدت على هذا الوضع، بل دعت إليه، ففي الخمس والعشرين سنة الماضية شهدت إفريقيا وحدها اثنتي عشرة حرباً (١٢)، منها الأهلية ومنها ما هو شبه أهلي مع مناطق مجاورة. وقد حصل فيها ما لا يقل عن سبعين انقلاباً عسكرياً وغير عسكري، كما تم في إفريقيا وحدها وفي غضون الأعوام المذكورة ثلاثة عشر اغتيالاً (١٣) لزعماء الدول فقط. وعدم الاستقرار هذا بأشكاله المختلفة له ولا شك الأثر الفعال في وصول سكان بعض دول إفريقيا إلى ما وصلوا إليه.

موقفنا نحن من الجوع:

تربطنا بإفريقيا والعالم كله روابط أقوى من أن تخضع لموازين بشرية ونحن ندين بدين حق يدعو للإغاثة والعون والنصرة والبذل والعطاء وهذا واقع اضطلعت به بلادنا بقيادتها الرشيدة، فبذلت وما زالت تبذل الكثير من أجل العون والمساعدة، وعلى جميع المستويات العربية والإسلامية وعلى مستوى الدول الفقيرة.

● ● منظمة الدول المصدرة للنفظ (أوبك) تساهم مساهمة فعالة في سبيل التغلب على هذه المشكلة، وصندوق التنمية العربي المختص بإفريقيا كذلك يقوم بدور بارز في هذه القضية، وبنك التنمية الإسلامية لا يبخل أبداً في أن يقوم بدوره خير قيام، وكل هذه المنظمات التي لنا بها علاقة مباشرة تساهم في جانب المشروعات بعيدة وقريبة المدى، فضلاً عن المساعدات المباشرة التي تبادر إليها المملكة منفردة دون إعلان وتباه.

ولذلك جاءت اللفتات الإنسانية من قِبَل المسؤولين في بلادنا حين دعوا دعوات متكررة وفي مواقع مختلفة ومناطق متعددة ـ دعوا أهل الخير من المواطنين إلى المساهمة الفعالة بالنقد والعينيات وسهلوا على من يريدون أن ينقذوا القارة الخضراء عمليات التبرع، إذ لا يعدو الأمر الرجوع إلى البنوك المنتشرة في المناطق وترك ما تجود به النفس مع هذه البنوك لتعطى إلى أيد أمينة تقوم بإيصال النقود والعينات إلى المستحقين مباشرة. ويبقى دور المواطنين في هذه الفترة الزمنية القاسية أن يتذكروا أن مجموعات البشر يلاقون الويلات في سبيل الحصول على لقمة عيش يتقاسمونها بينهم!

obeikandl.com

الندوة العالمية للشباب الإسلامي

إحدى الهيئات العالمية التي تسعى لخدمة الإسلام والمسلمين في أي مكان كانوا. تأسست سنة ١٣٩٢ هـ الموافق ١٩٧٢ م، ومقرها مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية. وتعد أول هيئة إسلامية عالمية متخصصة في شؤون الشباب. وتضم الآن أكثر من أربعمائة وخمسين «٤٥٠» منظمة شبابية وطلابية منتشرة في أنحاء العالم.

وكأي هيئة عالمية أو محلية رسمت الندوة أهدافاً تسعى إلى تحقيقها وبدأت في مسيرة التحقيق، ومن هذه الأهداف:

١ ـ خدمة الفكر الإسلامي الصحيح على أساس من التوحيد الخالص.

٢ ـ تعميق أسباب الوحدة الفكرية وتقوية روابط الأخوة الإيمانية بين الشباب المسلم.

٣ ـ تعريف العالم بالإسلام بجميع الوسائل وعلى أوسع نطاق.

٤ ـ توضيح ودعم الدور الإيجابي للشباب والطلاب في بناء المجتمع الإسلامي.

٥ ـ دعم منظمات الشباب الإسلامي في جميع أنحاء العالم والتنسيق بينها ومساعدتها في تنفيذ برامجها.

ومن الوسائل التي تتبعها الندوة في سبيل تحقيق هذه الأهداف:

obeikandl.com

١ ـ تأليف الكتب.
٢ ـ نشر الكتب التراثية وأعمال المؤلفين المسلمين والكتابة في الصحف والمجلات العالمية.
٣ ـ توزيع الكتب والمجلات والنشرات.
٤ ـ دعوة الشخصيات العالمية لزيارة البلاد الإسلامية.
٥ ـ تنظيم المؤتمرات والاجتماعات.
٦ ـ إقامة المخيمات للتدريب والتعارف.
٧ ـ إنتاج أفلام تلفزيونية إسلامية.
٨ ـ العناية بالفنون والآداب ذات الطابع الإسلامي.
٩ ـ إصدار نشرة دورية.
١٠ ـ الاستعانة بالهيئات والجمعيات الإسلامية الأعضاء.
١١ ـ الدعم المادي والمعنوي للمنظمات الشبابية الإسلامية.

وتتطلع الندوة إلى تحقيق الإنجازات التالية:

١ ـ تيسير نشر القرآن الكريم وترجمة معانيه.
٢ ـ التوسع في توفير الكتاب الإسلامي.
٣ ـ توفير مكتبة إسلامية صوتية ومرئية.
٤ ـ التوسُّع في تنفيذ البرامج الخاصة بتدريب الشباب.
٥ ـ التعاون مع الهيئات الحكومية والأهلية في مشاريع الخدمات العامة.
٦ ـ برامج لتبادل الزيارات بين الشباب.
٧ ـ برامج لرعاية الشباب المغترب.
٨ ـ إنشاء دار إسلامية عالمية للثقافة والتأليف والنشر.
٩ ـ إصدار مجلات إسلامية للأطفال.
١٠ ـ إصدار مجلات للشباب المسلم.
١١ ـ إصدار مجلات نسائية.

١٢ ـ الإسهام في مجالات الرياضة البدنية.

والأهداف والوسائل والتطلعات كلها تنطلق من نظرة طموحة وعملية في الوقت نفسه، فالمنظمة ساعية الآن في تحقيق أهدافها، ويقوم عليها شباب نحسبهم من خيرة شباب المجتمع، ويحتسبون عملهم ويعتمدون على الله تعالى أولاً ثم على الدعم المادي والمعنوي والتشجيع الذي يلقونه من دولة المقر المملكة العربية السعودية والمسؤولين فيها.

النشرات:

والحق أن من يريد التعرف على الندوة وإنجازاتها يحتاج إلى مزيد من الشواهد، إلا أني أقف هنا وقفة سريعة على الهدف الثالث وهو تعريف العالم بالإسلام بجميع الوسائل وعلى أوسع نطاق، حيث أجد أن الندوة قد أسهمت إسهاماً فعَّالاً ومؤثراً في التعريف بالإسلام من خلال نشرات مطوية تحوي معلومات سريعة وموثقة وبسيطة في الوقت ذاته حول موضوع واحد دقيق من الموضوعات الإسلامية. فهناك نشرة عن الإسلام، وأخرى عن القرآن الكريم، وثالثة عن محمد ﷺ، ورابعة عن حقوق الإنسان، وخامسة عن الأنبياء وسادسة عن عيسى ـ عليه السلام ـ وهكذا، بالإضافة إلى التعريف ببعض قضايا المسلمين الراهنة، مثل قضية فلسطين والقدس وأفغانستان. كل هذه تكون باللغة العربية والانجليزية والأردية والتاغلو «الفليبين» والملاوية والأندونيسية وبعض اللغات الإفريقية. وتوزع هذه المطويات على نطاق واسع داخل دولة المقر وخارجها.

وتستفيد منها مجموعة العاملين الوافدين إلى البلاد فائدة جليلة، وهي مدخل لهؤلاء للتعرف على الإسلام، ومن ثمَّ الدخول فيه، أما المسلم فيستفيد منها في تصحيح عقيدته ومفهوماته عن الإسلام، يصحب

هذا تطبيق صادق للعقيدة والمفهومات في هذا المجتمع، فيلتقي التعريف النظري بالواقع العملي فيزيد المسلم ارتباطاً بدينه، ويحمل معه هذا الدين الحق عندما يعود إلى بلاده، فيسمع منه الأهلون والقريبون منه خاصة أنّه عاد من بلاد الحرمين الشريفين. هذه البلاد التي تنظر لها الأمة الإسلامية على أنّها القدوة في تطبيق الإسلام على المستوى الفردي وعلى مستوى الدولة.

وأجد أن هذه المطويات التعريفية تؤدي أثراً غير يسير، وأنها الآن توزع بشكل جيد على مجتمعات العمال وعلى المؤسسات الصناعية والطبية والزراعية التي يكثر فيها العمال والفنيون غير المسلمين، ولعلَّ مزيداً من التوزيع يتم في الوقت الذي نجد فيه الندوة العالمية للشباب الإسلامي تبدي استعدادها لتزويد كل الهيئات التي تطلب منها مثل هذه المطويات، وبعض الكتب المترجمة إلى لغات مختلفة. ويهم الندوة كثيراً أن تنصب جهودها في مصابها المرادة لها. وهذا بفضل الله شيء ملموس.

ولو لم يكن للندوة من الأهداف والوسائل والمهمات إلا هذا الهدف الثالث لقلت عنها إنّها تقوم به على وجه مؤثر. ولعل العاملين على تحقيق هذا الهدف ينالون عليه من ـ الله تعالى ـ ما يستحقونه من الأجر والثواب. وعند الله المزيد.

المؤتمرات:

ومن وسائل تحقيق الأهداف للندوة عقد المؤتمرات وإقامة المخيمات، ولدى الندوة إسهامات في مؤتمرات محلية ومخيمات تدريب وتعارف تصل في مجملها إلى خمسين مؤتمراً أو مخيماً في العام الواحد.

وتعقد الندوة مؤتمرها العالمي العام كل ثلاث سنوات، وقد عقدت منه حتى الآن ستة مؤتمرات عالمية، خمسة منها في مدينة الرياض،

والسادس في كينيا. وكان المؤتمر الأخير الذي عقد في منتصف هذا العِقْد يدور حول الجاليات الإسلامية.

واللقاء السابع المرتقب سيكون في مدينة الرياض، وسيكون حول الوحدة الإسلامية، وسيعقد ـ بإذن الله ـ في العام القادم ١٤١١ هـ[١]. وتُعِدُّ الندوة اليوم العدة لأن يكون هذا المؤتمر وموضوعه المهم على المستوى الذي يتوقع من الندوة أن تكون عليه من حيث التهيئة للمؤتمر ومن حيث استقطاب الدراسات والبحوث حول هذا الموضع.

الجيل المعاصر:

يقول رئيس الندوة العالمية للشباب الإسلامي السابق الشيخ حسن ابن عبد الله آل الشيخ ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ: «إن جيلنا المسلم االمعاصر يواجه الكثير من التحديات الفكرية والعقائدية وإن شبابه بصفة خاصة يواجه العديد من ألوان الغزو الثقافي ومن صور الحروب الفكرية التي تتسرب إلى صفوفه، وتنخر في كيانه. والشباب دائماً مستهدف ومقصود، فهو درع الأمة الواقي ـ بإذن الله ـ وهو عدتها وذخرها لمجابهة أعدائها المتربصين بها.

من أجل ذلك فكَّر الحادبون على مصلحة العمل الإسلامي بصفة عامة، وعلى مصلحة الشباب المسلم بصفة خاصة، أن يعملوا لأن يقيموا كياناً إسلامياً قوياً متمثلاً في الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ينهض بعبء دعم منظمات العمل الشبابي الإسلامي في العالم، واستكمال أدواتها، وعونها في البلوغ بمستويات برامجها، وتدريب العاملين في حقل الدعوة الإسلامية إلى المكانة اللائقة بها...» من مقدمة الطبعة الأولى من كتاب قضايا الفكر الإسلامي المعاصر الصادر عن الندوة.

---

(١) عقد هذا المؤتمر في ماليزيا عام ١٤١٣هـ.

مأساة الإغاثة..!!

إلى أي حد يمكن للمرء أن «يمسك أعصابه» ويهدأ؟! ومتى يستطيع إزالة التأثير الإعلامي السريع من خلال متابعاتنا المحمومة لنشرات الأخبار والتحقيقات والتقريرات التي تدوم لساعة كاملة في فترة إخبارية واحدة؟!

من المؤلم أن نطلع كل يوم على أخبار تدمي القلوب وتنغص العيش على العائشين. من المؤلم حقاً أن يكون مصير شعب يموت جوعاً في هذا العصر ـ ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م ـ بسبب التشاحن بين فئتين سياسيتين، كل منهما يريد أن ينهش من تركة رجل عاث في الأرض فساداً وتركها لمن هم ليسوا على مستوى قيادتها.

في الصومال يموت يومياً ما يزيد على خمس وعشرين نفساً. هذه النفوس تموت أمام ناظري ـ نواظر الأبناء أو الآباء أو الأمهات أو الأزواج أو الزوجات ـ فتبيض العيون من الحزن، في الوقت الذي يتاجر فيه الآخرون بمواد الإغاثة ويسرقونها من السفن ليبيعوها في متاجرهم (شاهر ظاهر)، وفي الوقت نفسه الذي ينهبها الآخرون ليغذوا منها جنوداً يراد لهم أن يقتل بعضهم بعضاً.

ما الذي حل في الصومال ليمنع عن أهله كيس الرز وعلبة الزيت؟! ومن المسؤول المباشر على المدى البعيد عن هذه المأساة الإنسانية؟

ويبدو أنْ الوقت الآن ليس في محاسبة المسؤول المباشر على المدى البعيد بقدر، ما هو الوقت لمحاسبة المسؤولين المباشرين على مدى اللحظة والثانية. وليس الوقت كما يبدو مناسباً لمحاسبة المستفيدين من هذه المأساة، وأصدق القول إذا قلت إن هناك مستفيدين من مآسي الدنيا، وعلى رأس المستفيدين أولئك الذين «يتلقطون» الأطفال الجياع، يخطفونهم ليؤمنوا لهم كوباً من الحليب وكوباً آخر من الإيديولوجيات المنحرفة، ليعودوا بعد ذلك وتستمر على أيديهم المأساة.

ورغم أننا نتخطى القرن العشرين الميلادي ونشرف على الحادي والعشرين إلا أنّنا ـ العالم كله ـ ننقاد إلى مآسٍ تتلوها مآسٍ. ويبدو أن منطق القوة والسلاح هو اللغة التي يفهمها الآن بعض النّاس حتى الحصول على حبة الرز ونقطة زيت الطعام تحتاج إلى «الكلاشنكوف». بمعنى أنّه إذا أردت الحصول على حبة رز لأطفالك الجياع في بعض المجتمعات المنكوبة بأهلها. فما عليك أولاً إلا الحصول على بندقية لتحصل على الحبة!! عجب وأي عجب أن تصل بنا الأمور. نحن بني آدم. إلى أسوأ مما وصلت إليه الحال من الأنعام الأخرى.

وهل نملك إلا أن نتابع أحداث العالم من خلال أجهزة الإعلام، ولا نتفاعل مع هذه الأحداث؟ إنّ الألم حقاً يعتصر القلوب، ولكن التعبير عن هذا الألم يأخذ وسائل عدة، وقد هيأ الله تعالى القلم ليسهم في التعبير عن هذه الآلام، ويزيل عن النفس شيئاً من الأثقال التي تحملها، ولكن الذي لا يحمل القلم قد يبحث عن وسائل أخرى ليست بالضرورة محببة ليعبر بها عن قلبه المعصور.

في عام المجاعة حصل أن سرق بعض المسلمين من بعض المسلمين فما قام على السارقين الحد. وأخشى الآن في الصومال ألا يقتصر الأمر على مجرد السرقة من البعض/ السرقة المشروعة بعد أن

فشت السرقة القذرة التي لا تستحق قطع اليد فحسب، بل قد تأخذ حد الفساد في الأرض، وأي إفساد أعظم من أن يموت أخي جوعاً وأنا أمنع عنه الطعام الذي هو بين يدي.

وإن حساب هذه الفئة المانعة عند الله شديد. ولعل القارىء الكريم بعد هذا يعذر القلم عندما يفقد أعصابه. وكان الله في عون الجميع.

obeikandl.com

المجزرة في يوغسلافيا

ليس هذا حديثاً عن الوضع القائم الآن في يوغوسلافيا، إذ إنّه وضع جائر عند كل النّاس في الشرق والغرب على حد سواء، حتى أولئك الذين لم يكونوا يوماً ما متعاطفين مع القضايا الإسلامية التي تعصف بالأمة نراهم اليوم يدركون أن الحملة صليبية بتصريح أصحابها في صربيا نفسها.

وهذا الحديث إنّما هو وقفة مع كتاب ظهر سنة ١٤٠٤ هـ الموافق ١٩٨٤ م تحت هذا العنوان «المجزرة في يوغوسلافيا» ولا يعرف كاتبه ولا مكان نشره ولا ناشره وإن كان أسلوب الطباعة والتغليف قد يقودان إلى مكان النشر والناشر.

والكتاب يقع في خمس وخمسين صفحة، ولذ يصدق عليه أنّه كتيب وليس كتاباً. وعلى أي حال فالكتاب/ الكتيب يتحدث أولاً عن وضع الأقليات المسلمة في شرق أوروبا. وفي هذه الوقفة تفصيل لموقف الشيوعية السياسي من الإسلام في شرق أوروبا، ثمّ الوضع السياسي في يوغوسلافيا حينما كان تحت حكم الحزب الشيوعي.

وفي الوقفة الثانية يتحدث الكتيب عن أوضاع المسلمين اليوم (١٤٠٤ هـ) في يوغوسلافيا، وفي وقفة ثالثة يتعرض الكتيب لحملة إرهاب جديدة ضد المسلمين في يوغوسلافيا ـ هذا كان سنة ١٤٠٤ هـ وما

قبلها ـ وفي هذه الوقفة عرض سريع ليوغوسلافيا والمسلمين. ووضع يوغوسلافيا الاقتصادي والإرهاب الشيوعي ضد المسلمين.

وفي مقدمة الكتاب يقول مؤلفه: يخطىء من يظن أن شيوعية اليوغسلاف أخف وطأً على المسلمين من شيوعية روسيا والصين وغيرهما، ويخطىء من يظن أن الحكومة الشيوعية في يوغوسلافيا تعامل المسلمين هناك على أنهم مواطنون أو بشر عاديون.

ويخطىء من يظن أن يوغسلافيا دولة صديقة، فهي كذلك طالما كانت هي المستفيدة وهي لا تؤمن إلا بالمصلحة المادية لحسابها فقط.

إن يوغسلافيا استغلت سمعتها الطيبة في العالم الإسلامي والغربي فاستفادت مادياً من ذلك، وعملت داخلياً على محو الإسلام والمسلمين فأعدمت عشرات الآلاف من المسلمين، وشوهت مئات الآلاف منهم، واليوم (١٤٠٤ هـ) تعاود حملتها المسعورة لتبيد نخبة الشباب المسلم.

ثمّ يؤكد الكتيب على أن هذه الممارسات ليس بالضرورة وليدة الشيوعية؛ لأنّه يرى أن الشيوعية لا تصل نسبتها من ١ ـ ٢٪ فقط، وتتلخص في الفئة الحاكمة، أمّا البقية فتحكمها الثقافة النصرانية وشيء من الثقافة اليهودية.

ويذكر أن هناك «صفاء في الأمور» بين الشيوعية والمسيحية في شرق أوروبا. ويدلك على هذا الصفاء أنّه في الوقت الذي تبيد فيه حكومة بلغاريا الشيوعية المسلمين وتحول المساجد إلى متاحف نجدها تدعم الوجود النصراني حيث تطلب من المسلمين تغيير أسمائهم إلى أسماء نصرانية، وفي صوفيا كلية للاهوت النصراني تعمل على تخريج المنصرين، وفي يوغوسلافيا نفسها كليتان للاهوت النصراني الأرثوذكسي والكاثوليكي، بالإضافة إلى انتشار الأديرة فيها والكنائس الضخمة مدعومة من الفاتيكان مباشرة وبعلم الحكومة «الشيوعية».

ويقرر الكتيب أن سكان يوغوسلافيا من اليهود لا يزيدون على ألفين ومع هذا فلهم نفوذ واضح في المجتمع اليوغسلافي.

أمّا عن المسلمين في يوغوسلافيا فيذكر الكتيب (المجزرة في يوغوسلافيا) أن المسلم هناك مواطن من الدرجة الثالثة، لا يجد الوظيفة المناسبة، ولا يطبع كتبه ولا يعلم أولاده الإسلام، ويعد هذا المواطن دخيلاً على المجتمع اليوغوسلافي، وقد بيت الحزب الشيوعي في يوغوسلافية النية لإبادة المسلمين فيها. ويتدخل الفاتيكان وتتدخل دولة اليهود في فلسطين المحتلة إذا ما أهين مواطن يوغوسلافي ينتمي إلى الكنيسة أو إلى اليهودية، ولذا لا تكاد ترى نصرانياً، أو يهودياً مضايقاً إلا أولئك الخارجين عن القانون العام.

وقد قام الحزب الشيوعي بمصادرة الأوقاف الإسلامية الضخمة التي يصرف منها على المدارس الإسلامية والطلاب والمعلمين الذين يدرسون القرآن الكريم واللغة العربية. وفي المقابل لم يجرؤ الحزب على مصادرة أوقاف كنيسة واحدة. وعلى أي حال فالكتاب يسهب في أساليب المضايقات على المسلمين في مجالات التوظيف والتخصص والرحلة إلى الحج والأسماء والزواج والكلمات أو المصطلحات الإسلامية والمطبوعات الإسلامية من كتب ومجلات. وما يذكر هنا أن الشيخ ابن حسين جوزو قد اقتيد إلى السجن مباشرة بعد خطبة بمناسبة دينية قال في مطلعها: أيها الإخوة المسلمون، فرأت السلطة أن هذا اللفظ لا يطلق إلا إذ كان هناك تكوين سياسي وتنظيم حزبي!!.

ولا يقتصر هذا الاضطهاد على مسلمي يوغوسلافيا، بل إن المسلمين الموجودين فيها من عرب وغيرهم يتعرضون للمضايقات، فقد قبضت السلطة عل عشرين طالباً عربياً وهددتهم بالفصل إن هم أعلنوا نشاطهم الإسلامي بين الناس، والسياح والزائرون من المسلمين لهم

نصيب من هذا التعنت، فقد قبض على عدد كبير منهم وقدموا للمحاكمة.

يقول صاحب الكتيب بعد هذا كله ومثله معه: إننا نناشد الدول العربية والدول الإسلامية لوقف تلك المجازر ضد المسلمين الذين لا حول لهم ولا قوة، والذين هم تحت السيطرة التامة للشيوعيين منذ أربعين سنة، فهل يعقل أن يقوموا بمحاولة قلب نظام الحكم في دولة شيوعية بوليسية تعلم كم بيضة تبيض كل دجاجة في يوغوسلافيا.

إننا نناشد رابطة العالم الإسلامي، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، وندوة الشباب الإسلامي العالمي، ومؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية، والمجلس الإسلامي الأوروبي، وجامعة الدول العربية.

إننا نناشد كل الدول العربية أن تتدخل لتنقذ أرواح مئات المسلمين من الموت وإنقاذ مئات الأسر من التشرد ومئات الزوجات من الترمل وآلاف الأطفال من التيتم.

إننا نناشد الجميع لرفع هذا الأمر للجنة حقوق الإنسان ومنظمة العفو الدولية، ومحكمة العدل الدولية، وتمضي المناشدة للتدخل قبل فوات الأوان.

ومع هذا كله فقد «كانت» يوغوسلافيا تتمتع بسمعة طيبة في العالم الثالث وفي دول عدم الانحياز عامة والدول العربية والإسلامية بخاصة، وعلاقتها بالدول العربية (معظمها) وطيدة تتوجها صداقات بين الزعماء ولها سفارات في معظم الدول العربية، ولها علاقات تجارية كذلك وتقوم بتنفيذ مشروعات تنموية في دول عربية في الشرق والغرب!!.

حتى المسلمون الذين اعتنقوا الشيوعية من ١ ـ ٢٪ من نسبة الشعب لم تقم لهم قائمة في الحزب الشيوعي فقد اغتيل (كمال بيدج) وهو مسلم (كان مسلماً) فتشوع (صار شيوعياً) وكان أحد نواب الرئيس (تيتو)

والمرشح الأول لخلافته على الحزب والدولة، وكان متحمساً للحزب والدولة إلى درجة انصياعه بتسمية أولاده بأسماء صربية فكانت نهايته مع هذا تفجير الطائرة التي كان يستقلها وأقفل الحادث دون تقرير رسمي أو بيان من الدولة.

وبعد:

فهذه صيحة مرَّ عليها الآن حوالى تسع سنين وكأنها تمهيد للصيحة الكبرى التي نعيشها الآن، وقد هب لها الناس من مسلمين وغير مسلمين إلا أولئك المتفرجين ممن ينطبق عليهم على أقل الأحوال قول القائل «أنا لم أردها ولم تسؤني».

ترى لو كتب لنا هذا المؤلف لمجهول في فن تصنيف الكتاب المعروف من خلال حروف الكتاب، لو كتب لنا الآن عن المجزرة الجديدة في يوغوسلافيا ترى ماذا سيقول. لقد انقشع رسمياً الحزب الشيوعي وبدأ الناس ـ بعض الناس ـ يتنسمون معنى للحرية في كثير من المجتمعات، ولكن المسلمين في يوغوسلافيا ـ وليس في البوسنة والهرسك فحسب ـ يدفعون الثمن غالياً جداً.

وفي الوقت الذي نجد فيه الهيئات الإسلامية واللجان الشعبية تهب لنصرة المسلمين في يوغوسلافيا ونجد بعض الحكومات الإسلامية تتخذ خطوات عملية لتحديد موقفها من الوضع في يوغوسلافيا من حيث إيقاف جميع صنوف التعامل الدبلوماسي والتجاري والثقافي وغيره، في هذا الوقت نفسه نجد إخواننا في يوغسلافيا يتطلعون إلى المزيد، فهم في محنة مشهودة برز فيها معالم المؤامرة في وقت نحاول فيه استبعاد نظرية المؤامرة.

ويتطلع المسلمون بعامة ومسلمو يوغوسلافيا بخاصة إلى بلاد الخير تطلعاً خاصاً لنصرتهم بكل الإمكانات المعنوية والمادية على المستويات

الدولية والمحلية والشعبية، إيفاءً منا بواجبنا تجاه إخواننا في كل مكان وفي يوغوسلافيا وغيرها من أماكن المحن الآنية والمتوقعة. وفق الله الجميع لنصرة جميع المسلمين في كل مكان من بلاد الله الواسعة، وكان الله في عون الجميع.

obeikandl.com

يوغوسلافيا.. يا أخت الأندلس...!

يروي الشيخ عبد الوهاب الطريري إمام جامع الملك عبد العزيز بالعليا أنّه في يوم الخميس آخر أيام رمضان المبارك لهذا العام ١٤١٢ هـ في إحدى المدن اليوغوسلافية في البوسنة والهرسك خرج اثنان من المصلين من المسجد فكان المتطوعون الصرب في انتظارهما فقتلوهما أمام المسجد، فتقهقر المصلون إلى داخل المسجد، فتتبعهم الصرب في الداخل فقتلوهم ومثلوا بهم ثمّ صوروهم وهم على وضعهم فأرسلوا الصورة إلى قومهم الصرب، وقد حولوا هذه المجزرة في مصلحتهم مدعين أن المكان كنيسة وأن القتلى نصارى، وأن القاتلين من مسلمي البوسنة والهرسك.

ويذكر خطيب مسجد الملك عبد العزيز أن الصرب قد عملوا مثل هذا العمل على ضفاف نهر الفوجا الواقع جنوب شرق البوسنة والهرسك قد تلطخ بدماء ثمانية آلاف مسلم ذبحوا ذبحاً بالسكاكين، ولم يصب الذابحون بأذى سوى اثنين منهم تأثرا بوقع السكاكين على فخذيهما بينما كانا يذبحان أطفال المسلمين!! وكان هذا عام ١٩٤١ م. ولم يكن الرقم ثمانية آلاف بل أوصله البعض إلى ستين ألفاً من المسلمين.

هل انتهت الحروب الصليبية؟ وبدأ الحوار بين المسلمين

والنصارى، أم أن جمهورية البوسنة والهرسك تشهد اليوم مذابح وصلت إلى العاصمة سراييفو؟! وهل الحرب القائمة الآن في يوغوسلافيا ضد المسلمين هي حرب عرقية أو قومية؟ إذاً لماذا يرسم قتلة المسلمين الصليب على صدور المسلمين المقتولين؟ والصليب ليس شعار الصرب القوميين، ولكنه شعار الصرب المنتمين دينياً إلى النصرانية.

واليوم نجد أن ستة ملايين مسلم في جمهورية البوسنة والهرسك مهددون بالإبادة الجماعية من قبل الصرب، لا أظن أن الحروب الصليبية قد انتهت، ولا أظن أن الحوار الفكري سيحل محل الحرب على المسلمين.

وهل يتحمل المسلمون جزءاً من هذا الذي يحدث لهم في كل مكان من أرض الله الواسعة؟! لقد تشرد البورميون المسلمون ولجأوا إلى بنغلاديش، وبنغلاديش هي أرض للاجئين من أبنائها، فليست بحاجة إلى مزيد من اللاجئين، والمسلمون في الهند يلاقون أصناف التنكيل من الهندوس والسيخ، والمسلمون في القرن الإفريقي يلاقون أصناف الاضطهاد من نصارى الحبشة، فهل يتحمل هؤلاء المسلمون جزءاً مما يحصل لهم؟ وهل نظل نبحث عن أسباب لهذا التنكيل والاضطهاد غير الأسباب الدينية؟

ليتنا نعترف أننا نُحَارب في كل مكان لأننا مسلمون، وليتنا نعترف أننا بحاجة إلى أن نفهم العالم أننا لسنا خطرين على البشرية، بل إننا نحمل الخير للصغير والكبير.

الصليبية هي التي صورتنا للعالم أننا مستعمرون وأننا غزاة وأننا ضد الآخرين الذين لا يتفقون معنا في الدين.

والصهيونية هي التي صورتنا للعالم أننا إرهابيون، وأن مهمتنا هي تفجير المحلات واختطاف الطائرات واغتيال الزعماء السياسيين والدينيين،

وكنت لا أزال أقول إنه عندما أصيب الزعيم الروحي في الفاتيكان قالت وسائل الإعلام: إن الذين حاول قتله هو شاب مسلم يدعى محمد آغا، وعندم أصيب الزعيم السياسي الأمريكي في واشنطن رونالد ريغان لم نعرف إلى الآن هوية الجاني «جون هنلكي» الدينية.

لقد لمست الاعتذار للآخرين على حساب المسلمين أنفسهم في أكثر من مجال، بل إن هناك عدم اعتراف بالدافع الديني وراء كثير من الأعمال التي وجهت ضد المسلمين في القديم والحديث، وهناك في الوقت نفسه تأكيد على الدوافع الاقتصادية كما يقال في الحروب الصليبية إلى اليوم والدوافع العرقية في الحروب ضد المسلمين في الهند أو بورما أو الحبشة أو يوغوسلافيا اليوم، رغم أن أول ما يقوم به غزاة المسلمين هو إهانتهم في مساجدهم ومقدساتهم كالمصحف الشريف يمزق أو يحرق أو يهان بأصناف من أصناف الإهانة.

وعندما ندرك أن الذي حدث للمسلمين اليوم ـ كما الذي حدث لهم من قبل ـ إنّما بدافع ديني فحسب، وعندها نحس بالبنيان المرصوص وبالجسد الواحد، وعندها نحس بأننا مسؤولون مسؤولية دينية وتاريخية تجاه إخوة لنا يضطهدون في كل مكان ونحن هنا ننعم ـ بفضل الله ـ بالأمن بكل أنواعه الديني والنفسي والبدني والاجتماعي والعائلي والصحي والغذائي. وعندما يرى المسلمون مجتمعنا يتطلعون إلى أن تكون مجتمعاتهم مثل هذا المجتمع، ولذا تراهم ينظرون إلينا نظرتهم إلى الراعي القادر على الرعاية قدرة روحية ومادية في الوقت نفسه، وهنا تكبر المسؤولية وتعظم على عواتقنا قادة ومواطنين.

إننا مطالبون بنصرة إخوتنا في كل مكان، نبحث عن أسباب ضعفهم فنعمل على تقويتهم ونكون لهم عوناً على مجموعة من الأعداء الماديين والمعنويين ، نسعى إلى رفع مستواهم في مجالات الوعي العقدي عندهم

بما نملكه من وعي عقدي نجزم أنّه سليم، وعندها نصل جميعاً إلى العزة التي تكفل الله بها لدينه ولمن ينصر دينه.

وتعلن الهيئة الإسلامية العالمية للإغاثة عن حاجتها إلى عشرة ملايين ريال للإسهام في نصرة إخوتنا في البوسنة والهرسك، وتفتح الهيئة لها مكتباً في سراييفو وآخر في مدينة كرواتية للعمل على تخفيف حدة الوقع على إخوتنا المسلمين هناك، وهذا المبلغ ليس كبيراً، إذ إني أعتقد أن رجل أعمال واحداً من المحسنين قادر على دفع هذا المبلغ، وبخاصة أنه يعلم سلفاً أن الله تعالى سيبارك له فيما أنفق وفيما أبقى.. ولذا فإني لا أستغرب أن يتم جمع أكثر من عشرة ملايين ريال خلال الأسبوعين المضروبين موعداً لجمع المبلغ؛ لأن واقع إخوتنا في البوسنة والهرسك يتطلب أكثر من هذ المبلغ، ولأن رجال الخير في بلد الخير جاهزون للنصرة بالمال إذا ما وجدوا الجهات الموثوقة التي تؤتمن على هذه المبالغ.

وعلينا الاستعداد المادي والذهني لأزمات لاحقة تحل بالمسلمين في أماكن هم فيها أقلية، بمعنى أن قدرتهم على القرار محدودة في مجتمعهم، وإن كانت أعدادهم كثيرة، فالدعاء بالعون للمخلصين المتابعين لشؤون المسلمين يشرحونها للناس ويبينونها للمحسنين الراغبين في البذل في سبيل الله لا طمعاً في تخفيف ضريبة أو إشادة على رؤوس الأشهاد، وإنما رغبة في الأجر والثواب من الله تعالى.

وهذا العمل جزء عاجل من جهود مضنية ينتظرها المسلمون منا في كل مكان، وهناك جهود طويلة المدى تتعلق بالتربية والتعليم والمشروعات والإسهامات والاستثمارات وغيرها تنتظر كذلك منا، فكان الله في عون أهل هذه البلاد قادة ومواطنين، وكان الله في عون الجميع.

البوسنة والهرسك..!!

إخوان لنا هناك ليسوا بعيدين عنا في المبادىء، ولكنهم بعيدون عنا في الاتصال، إذ مرَّ عليهم زمن طويل وهم تحت وطأة الاستبداد الشيوعي المفروض عليهم، وعندما انقشعت هذه الشيوعية ووجدوا أنفسهم أمام الحرية في العبادة وفي الانتماء، استيقظت الصليبية الحاقدة ممثلة في الصرب والكروات على حد سواء وأعملت فيهم التقتيل والنهب وهتك الأعراض، تماماً كما فعلت بهم الفعلة نفسها قبل واحد وخمسين عاماً عندما ذبح من المسلمين ما يزيد على ستين ألفاً من الرجال والنساء والأطفال، بل والشيوخ حتى أصبحت مياه نهر الفوجا تسيل دماً.

هذا في الوقت الذي نرى فيه صمتاً شبه مطبق من الجانب الغربي، حتى هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن يصرح بعدم إمكانية إرسال قوات لحفظ الأمن، وكأنه ينتظر حتى يباد أكبر قدر ممكن من المسلمين وتسوى المساجد بالأرض فتصبح أرض البوسنة والهرسك، بيد الصرب والكروات، فيقوم نزاع بين الصرب والكروات فيتدخل مجلس الأمن ويرسل القوات لحفظ الأمن.

لقد جاء المندوبون منذ أكثر من سنة وهم يهيئون لهذه الحالة التي يمر بها إخواننا في يوغوسلافيا المتفككة، ولكننا على ما يبدو كنا ننتظر

الحدث لنبدأ الحديث عنه والاستعداد له والتصدي بقي فيه، وكنا مشغولين بمشكلاتنا القريبة التي حطت على رؤوسنا أثقل من الجبال عندما اعتدى علينا جارنا وهدَّد ديارنا.

والآن ونحن نعيش نشوة النصر في أفغانستان نلتفت إلى اليسار فنجد أن المسيرة في الدعم المادي والنفسي مستمرة في البوسنة والهرسك، وفي بورما وفي الجمهوريات المستقلة، وفي الصومال، وفي السودان، وفي الفليبين، وفي أماكن أخرى وجبهات قد تفتحت أمامنا أبوابها في القريب العاجل وهي قريبة منا، ولكننا إلى الآن لم نجر الاستعدادات اللازمة لها.

الحروب الصليبية لم تنته بعد، ولا يتوقع لها أن تنتهي مهما ظهرت الدعوات إلى الحوار مع الثقافات الأخرى والديانات المحرفة والتيارات الموضوعة. ويمكن أن يقوم حوار مع هذه كلها ولكنه الحوار المبني على القوة وعلى العلية وعدم الهوان.

وإنّه لمما يؤسف له أن أوروبا مع ما وصلت إليه من حضارة، ومع ما فهمته من دينها الذي يسيطر عليها من تحريف واستبداد باسم الدين لا تزال تتغذى من أحقاد الماضي ولا تزال تنظر إلينا نظرة حقد وعداء.

السنغال.. والحساسية العرقية

في الوقوف عند أحداث السنغال وموريتانيا لا بد من البحث عن الشرارة التي أدت إلى هذا الوضع المؤلم بين البلدين. وكان أبو ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ قد قال لبلال بن رباح ـ رضي الله عنه ـ يا ابن السوداء، فعلم الرسول ـ عليه السلام ـ بما قاله أبو ذر فذكّر الرسول أبا ذر بأن هذا الموقف موقف جاهلي: «إنّك امرؤ فيك جاهلية»، وليزيل أبو ذر الغفاري هذه الوصمة يضع وجهه على الأرض ويطلب من بلال أن يدوس عليه بقدمه. وكان الرسول ـ عليه السلام ـ يذكّر أصحابه بأن يتركوا النعرات القبلية أو الإقليمية ويقول عنها دعوها فإنها منتنة.

هل كانت الشرارة التي أدت إلى الأحداث المؤسفة نعرة جاهلية. نحن نعلم أن الدعوة إلى البربرية في شمال إفريقيا قد برزت في السنين الأخيرة مع بروز الدعوة إلى القومية، ولكنها خبت عندما بدأ الإدراك أن الدعوة إلى القومية لم توفق وأن الدعوة إلى الوحدة الإسلامية ـ التضامن الإسلامي ـ هي الدعوة التي يمكن أن تجمع القومية كلها تحت ظل شريعة مصابة بعمى الألوان فيما يتعلق بالبشر.

لعل الأمر ليس بهذه السهولة ويحتاج إلى تحليل أعمق. ولذا ظهر في الأفق رأي يقول بأن لليهود أثراً في الفتنة بين مواطنين من موريتانيا

وآخرين من السنغال. ولا بد أن ندرك أنه متى ما ذكر اليهود في أية مشكلة فإن علينا عدم التشكيك في أثرهم فيها. لا بأس من البحث والتقصي والتأكد والتوثيق، ولكن مهما يكن من مشكلة ويذكر أن لليهود يداً فيها فلا نملك إلا أن نقبل مبدئياً بهذا الرأي.

ويؤيد هذه الفكرة البحث في النشاط اليهودي في إفريقيا الذي لا يزال قويا ليس على المستوى الرسمي فحسب، بل على المستويات التجارية والعلمية والثقافية. وقد علم اليهود يوماً أن شيخاً لقبيلة بإفريقيا قد قبل الإسلام ديناً وتبعه أبناء قبيلته عموماً. فأرسل اليهود إليه من يقدم له الدعم في سبيل أن تكون وجهته قاديانية بدلاً من أن تكون إسلامية خالصة. لم يدعوه إلى الرجوع عن رأيه، ولكنهم حاولوا إقناعه بأن يرضى بالتسمية ويتبنى أفكاراً هي من الإسلام أبعد من اليهودية الحقة إليه.

وما دام أن هناك مراكز ثقافية يهودية في إفريقيا أو غير إفريقيا فسيظل هناك تأثير يهودي على الرقعة التي تغطيها هذه المراكز. وكنت في مؤتمر للتعريف بالإسلام لغير المسلمين فأخبرني المنظم لهذا المؤتمر، الأستاذ رالف برابنتي من جامعة ديوك في ولاية كارولاينا الشمالية أن اليهود يرسلون ممثلاً أو اثنين لمثل هذه المؤتمرات للتعرف على ما يقال عن اليهود فيها. يستمعون فقط ولا يعترضون أو يسألون، ولكنهم يكتبون التقارير عن مجريات المؤتمر، فترسل خطابات للجامعات التي تحدث أفراد من أعضاء التدريس فيها بسلبية عن اليهود. وهذا يجري في الولايات المتحدة الأمريكية التي تتزعم الدعوة إلى حرية التعبير وحرية الخطابة والحرية كلها.

وعليه فإن المرء لا يستبعد الأيادي اليهودية وراء الأحداث في السنغال مع وجود الأرض المخصبة لهذا التأثير، فالشرارة الصغيرة لا تحدث ناراً في الحطب الرطب. وعلى أي حال فلا بد من دراسة هذا الحدث والعمل على التقليل من حدوثه مرة أخرى وفي أماكن أخرى.

مخيمات .. ومخيمات

بدأت كلمة . . مخيمات . . تتردد كثيراً في جميع الأوساط الإعلامية وغيرها، وللمخيمات معايير تختلف باختلاف نوعيتها والنشاط الذي يقام فيها والغرض الذي من أجله أقيمت، إلا أن الملاحظ أن الجانب السلبي القائم على الفاقة والجوع والتشرد يغلب على هذه الكلمة عند إطلاقها، وعليه فإن هذا الجانب كثير جداً في مناطق مختلفة من أنحاء العالم، وهذه مجموعة من النماذج التي تمثل هذا الجانب السلبي الكامن وراء المخيمات.

١ ـ فالمخيمات الفلسطينية أريد لها أن تقوم ليتركز فيها من بقي عنده بارقة أمل للعودة إلى أرض الوطن. فيسلط على هؤلاء صنوف من الأفكار والمناحي التي تقود في النهاية إلى أن يكون بأسهم بينهم بدلاً من أن يكونوا أشداء على الكفار رحماء بينهم. وعليه فإن الشعارات في هذه المخيمات كثيرة جداً بأسماء براقة مثل: الوطنية، والشعبية، والديمقراطية وتراب الأرض ونحوها، لكنها تحاول أن تبعد الاتجاه السليم بادعاء أنّه من دعوات الرجعية، وكل من يوحي لهم بذلك أطلقوا عليه صفات متعددة على رأسها الرجعي. فالرجعي ـ في واقع الأمر ـ هو ذلكم الشخص الذي سيعيد الأرض لا للأرض

ولكن لما ومن في الأرض، ولكنه في نظرهم غير ذلك بعد أن أعمتهم الشعارات المذكورة آنفاً، وعليه تبقى هذه المخيمات فريسة لهذه الأفكار والمناحي التي لا تكتفي بالسيطرة الفكرية، بل تتعداها إلى تشجيع الانحراف الخلقي على اعتبار أنّه من مقومات هذه الأفكار.

٢ ـ في باكستان وعلى الحدود الأفغانية مخيمات للمهاجرين من الأفكار التي فرضت على الأرض فآثر الناس ترك الأرض في سبيل الحفاظ على الخلفية التي يدينون بها. وبما أن هذه الظاهرة جديدة على باكستان وأفغانستان لذلك لم تفش فيها شعارات جديدة بسبب تمسك أولئكم الناس بمبدأ يصرح به الكبير منهم والصغير، وهم في حقيقة الأمر يدركون أنهم يحاربون لأنهم مسلمون بالدرجة الأولى وليس لأنهم أفغانيون كما حاول البعض إشعارهم بذلك.

٣ ـ وفي إفريقيا، وبخاصة في شرق إفريقيا، تقام المخيمات لمن بقي فيهم رمق من حياة حيث لا يصل إليها إلا نسبة ضئيلة ممن فروا «بجلودهم» من الجفاف والجوع والقحط ثم المرض. هذه المخيمات الإفريقية ليست مأساة إفريقية وإنما هي مأساة للإنسانية جمعاء، وليست مأساة الهياكل العظمية التي تعتمد على بعضها في الوصول إلى المخيم لتعطى قطرة من حليب أو حبة من أرز أو قمح، هي مأساة للإنسانية إذا علمنا أن دولة عظمى آثرت أن تتخلص من فائض محصولاتها الزراعية بأسلوب عجيب وذلك لتبقي على اتزان السوق.

٤ ـ وفي الولايات المتحدة الأمريكية ـ ويسمونها أرض الحضارة ـ توجد مخيمات من نوع غريب يخفى على الكثيرين، حتى على أولئك الذين عاشوا هناك فترة من الزمن. فقد أفردت الحكومة قطعة خاصة

من الأرض «كومت» فيها أصحاب الأرض ممن يسمونهم الهنود الحمر، وصارت تغدق عليها من «قنينات» الخمور ولفافات المخدرات وشجعت عدم الخروج من هذه المخيمات. ولذلك نجد أن مطالبة الهنود الحمر بحقهم في مجرد العيش أصبحت اليوم في عداد النوادر لدى النّاس، وأصبح التراث الهندي الذي تنتجه نساء المخيمات تحفاً تباع للسياح في قارعة الطريق، وأصبح الرجل «الهندي» الذي هرب من المخيمات وشق طريقه علمياً ومادياً رجلاً من الرجال الذين ينظر إليهم كما ينظر إلى الرجل الأسود الذي وصل إلى مرتبة علمية مرموقة، ينظر إليهما نظرات استغراب لا تخلو أحياناً من الإعجاب بتغلب هؤلاء على الظروف التي فرضت عليهم.

٥ ـ وفي فلسطين المحتلة مخيمات خاصة بالذين يقدمون حديثاً من اليهود ويستوطنون هذه الأرض الطيبة، تقام لهم المخيمات التي تقوي فيهم الانتماء إلى الأرض، وهي دورات تدريبية في الفلاحة والصناعة في ظاهرها ولكنها تخفي وراءها أسلوباً فيه محاولة زرع التأقلم لدى هؤلاء الذين جاءوا من كل مكان وفيه إشعار لهم بأنها أرضهم الحقة، وأن الأرض التي قدموا منها إنما كانت مخيماً لهم ريثما يعودون إلى «الوطن القومي اليهودي» في فلسطين.

والحياة في هذه المخيمات ـ ويدعونها ـ الكيبوتز ـ عامة، فالأكل جماعي، والعمل جماعي، والتدريب جماعي، والمحاضرات جماعية، يتخرج اليهودي منها وقد صمم على أن يجعل هذه الأرض أرضه بعد أن «أحياها» بعدما كانت أرضاً بوراً في زعمهم.

وبعد فهذه نمادج خمسة تبرز نواحي ما وصل إليه الإنسان في معاملته لأخيه الإنسان، على أن هناك نماذج أخرى تنحو المنحى ذاته يضيق بها هذا المقام. ومع هذا فهناك نماذج للمخيمات لا تتصف بهذه

الصفات التي بدت على النماذج الآنفة الذكر، بل هي مخيمات يشع منها النور وتصل المعرفة ويتخرج منها الرجال، ولهذه النوعية من النماذج مجال آخر ـ إن شاء الله ـ..

obeikandl.com